الله محبة هو

قيمة الاشتراك
مجيدي
١ ١/٢ في بيروت
٢ في الممالك المحروسة
١٠ فرنكات في القطر المصري واوربا
١٣٠ قرشاً عملة ورق في البرازيل

المحبة

المراسلات الى ادارة المحبة

الرسائل لا ترد لاصحابها نشرت او لم تنشر

لا تقبل الرسائل بدون توقيع

صاحب الامتياز
فضل الله فارس ابي حلقه

مدير الجريدة
روفائيل الياس كك

بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً (غلاطية ٥ : ١٣)

عدد ١٠٩

تصدر مرة كل اسبوع
من جمعية التعليم المسيحي الارثوذكسية في بيروت

السنة الثالثة

انتقاء الزوجة

رأيت لبعضهم فصلاً في هذا الموضوع فأثرت نقله لما فيه من الفائدة ودقة البحث قال :

عثرت في جريدة على اعلان لاحدهم وهو:

ان شاباً من اسرة كريمة عاقد النية على الزواج وهو يطلب فتاة بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين صحيحة التربية كاملة التهذيب مع بائنة (دوتة) لا تقل عن خمسة الاف ليرة انكليزية سليمة الرئتين قوية الاعضاء لا يتجاوز طولها خمسة اقدام واربعة ابهام معتدلة الجسم جيدة الاسنان خالية من الكبرياء والتكلف قليلة الكلام بعيدة عن الخصام عارفة منزلتها وكرامتها غير ميالة الى البهرجة والزينة مطبوعة على الحشمة محبة النظافة والترتيب تحسن مقابلة الناس وملاطفة اصدقاء زوجها . ثم يجب عليها ايضاً ان تفضل مجالسته على الملاهي والاجتماعات وتكتم السر لتليق ان تكون موضع ثقته وعليها ان تكون خبيرة في تدبير المنزل وسياسة الخدم وعلم الاقتصاد

وعليه فالمرجو من التي تعرف انها مستجمعة هذه الشروط بين طالبات الزواج ان تخابر

ي٠ز٠ في نيويورك شارع ٠٠٠٠ نمره ٠٣٧

تنبيه: ان الشاب الطالب الزواج حاوٍ كل الصفات المرغوبة واهل للزوجة التي يطلب فيها هذه الشروط »

فاذكرني هذا الاعلان قصة تلك السيدة التي ارسلت قهرمانها الى السوق ليشتري لها بقرة فقالت له: يجب ان تكون صغيرة السن كريمة الاصل ناعمة الجلد بلون ابيض وردي مستقيمة الظهر لا تقوى على كسر الحاجز الخشبي لتفلت في البستان ويجب على الخصوص ان لا يتجاوز ثمنها مائتي فرنكاً٠ فاجابها القهرمان اذا كان هذا مطلوبك يامولاتي فالاوفق ان اجثو على ركبتي وانتظر ان تهبط عليَّ من السماء لاني على ثقة انني لا اجدها بغير هذه الطريقة »

لا ينكر ان المال امرٌ حسن ولكن من الخطاء ان يعتبر المرء السعادة في تزوج امرأة غنية ٠ فانه يصح والحالة هذه ان يقال عن المرأة انها تشترى وعن الرجل انه يباع

يروى عن احد المشاهير انه لم يكن يسلم ابداً بتضحية السعادة والشرف في سبيل الغنى وكان يستقبح في اكثر المتزوجين اعتبارهم الزواج تجارة ويفتخر انه لم يكن له من مرشد في زواجه سوى ضميره وقلبه وانما كان يتبع في ذلك صوت الضمير ومجاري الطبيعة على اقتناع بما للمرأة من التأثير الادبي على حياة الرجل وطباعه ٠ وكان يعلم حق العلم ان استقلال الارادة وحرية الوجدان يضعفان مهما كانتا عظيمتين في المرء اذا لم يكن لديه قوة مسعفة يتكل عليها وان الزواج المقرون بالتناقض والاختلال ينتهي بالضعف والانحلال ٠ واخيراً كان على ثقة ان السعادة الزوجية لا تقوم الا باتحاد الاميال والعواطف والقوى في كل الامور

وعندي ان الحب على ما فيه من التهور وعدم التروي هو خير ضمين لسعادة الزوجين وقد يتوهم البعض ان الراحة متوقفة على الثروة واسمع كثيرين يقولون : ما اسعدني لو كنت غنياً » ولكني اذكر ما اجاب به البارون روتشيلد احد اصحابه وقد ادهشه ما رآه عليه من سعة المال وفخامة المعيشة فقال له « انك رجل سعيد » فتنهد روتشيلد وقال : انا سعيد ؟ بالله عليك انتقل الى غير هذا الحديث ٠٠٠

لا تنظر في المرأة الى غناها وخيرلك ان تبني سعادتك على شخصها لا على مهرها ٠ والبنت الغنية كثيراً ما تجر وراءها الاسراف والبهرجة والخراب ٠ قال احدهم : من لا يميل الى الجمال يخشى عليه ايضاً ان

بجهل الفضيلة . غير ان الجمال لا يصح ان يؤخذ وحده اساساً للزواج لان المرأة الجميلة اليوم تمسي شنيعة بعد حين ودولة الحسن سريعة الزوال الا فيما ندر . مع ذلك يقولون ان العادة قريبة التغلب ولها تأثيراً عظيماً في تغيير العواطف فما يسرك اليوم يسوءك غداً والذي تراه حسناً في الحاضر ربما تجده قبيحاً في المستقبل . ولكن في بعض الصور ملامح لا يغيرها الكبر ولا تمحوها السنين وهي ما تمثلت فيها سلامة القلب ورقة العواطف وهذه الملامح لا تزيدها الشيخوخة الا لطفاً وجمالاً

وكيف كانت الحال لا تتزوج ابداً امرأة نزقة خفيفة العقل لا تصلح لكتمان السر ولا حمقاء تجر عليك الخجل . واعلم اخيراً ان مصالح بيتك ورفاه عيالك هي بين يدي المرأة فاختر من تراها اهلاً لاسعادك والمحافظة على بيتك

والصحة شرط هام ايضاً في الزواج . فالصدر السليم خير من القوام الرشيق وخدود متوردة بالعافية والنضارة افضل من وجه يعلوه الاصفرار والذبول

قالت يوماً فتاة في العشرين من عمرها لمرأة تكبرها بعشر سنين: بعد الثلاثين لا تعود المرأة تستحق ان ينظر اليها احد » فاجابتها على الفور « ولكن قبل هذا السن لا تستحق ان يصغي لكلامها احد »

ان اللطف والكرم والصبر صفات في المرأة تفضل الجمال والذكاء والمعارف . لا انكر ان هذه الثلاثة الاخيرة مزايا تستحب في المرأة ولكن السعادة الحقيقية لا تتوقف عليها . وخير للمرأة ان تحب محبة حقيقية من ان تكون ذكية اديبة خالية من العواطف

طلبت كاسة لاحد البيوت فتقدمت كثيرات وكانت احداهن مصحوبة باحسن الشهادات التي تخولها الثقة والافضلية . ولكن رأت ربة البيت انها ذات ذراع واحد فردتها بكل اسف . هكذا المرأة مهما بلغت من الجمال والمعارف لا تعد اهلاً للقيام بواجبات الزواج ان لم يكن لها محبة وما اصدق ما قاله ستكود في هذا المعنى : مع الحب تكون العيشة كلها افراح وغبطة وامال وبدونه اتراح ويأس واكدار

ان اللباس هو احد المظاهر التي يستدل بها على الاخلاق . فالمرأة الفاضلة تهتم ان تكون نظيفة الثياب حسنة الهندام ولكنها لا تبالي بالزينة الباطلة التي لا ترضى بها الحشمة والاداب . والنشاط والجد شرطان واجبان في المرأة لسعادة البيت والزوجة الكملى تعوّد

خدامها الاهمال وتعلم اولادها الكسل

ولكن كيف يستطيع من قيد فؤاده الحب واعماه الهوى عن النظر الى المستقبل ان يحكم اذا كانت شريكة عمره اهل للقيام بواجباتها الزوجية والسهر على تدبير منزلها. ذلك سؤال لا نرى وجهاً للاعتراض عليه لاننا نعلم ان عين الحب عمياء الا ان المحب يجب ان يكون على بصيرة من امره ويترك لعقله بعض السلطة على قلبه ويعلم ان مستقبله متوقف على تلك الساعة الهائلة التي يبارك فيها الكاهن الاقتران

يروى ان شاباً كان يتردد على منزل له فيه مرام وكان للتي يميل اليها شقيقتان . فبينما كان يوماً جالساً بينهن سمع احداهن تقول : لا اعلم اين هي الابرة » قيل وكانت هذه الكلمة سبب انقطاعه عنهن وعدوله عن التزوج بمحبوبته

قد شبهوا طالب الزواج برجل يمدّ يده الى كيس فيه مئة حية وسمكة واحدة. اجل لا يستحيل ان يقع لاول وهلة على السمكة ولكن هذا الاتفاق يكون على نسبة ١٠٠ الى واحد . فما اكبر حظ من يسعده الله بزوجة فاضلة

كثيرون اليوم ينظرون في المرأة الى الثروة والجمال والمعارف ولا يهمهم بعد ذلك ان تكون نشيطة سليمة القلب رقيقة الاحساسات . وعندي ان الرجل لو كان يدقق في انتقاء الزوجة كما يدقق في انتقاء قطعة قماش يريد شراءها لكان على ثقة ان صفقته رابحة ولكن كثيرون الذين يعجبون باللون ولا يلتفتون الى الجنس والمتانة

لا يغرنك من الفتاة ظاهرها فكم من اللواتي كنت تظنهن مثال الطاعة والرقة واللين قد امسين بعد الزواج اشكس النساء واصعبهن مراساً. قالت ام يوماً لابنتها قبل زفافها ببضعة ايام . ان زوجك كثير التطلب صعب القياد» فاجابتها لا تخافي يا اماه فذلك يزول منه عن قريب » .وخلاصة القول ان النساء كالرجال صناديق مقفلة ويصعب جداً اختبارهن قبل الزواج مع ذلك يوجد بعض دلائل على الاخلاق قلما تكون كاذبة فالبنت على الغالب هي صورة الام فانظر الى الام قبل البنت واذا كانت عائلة هذه الاخيرة كبيرة فانظر الى سلوكها في بيتها ومعاملتها لاخوتها ثم اسأل نفسك اذا كنت تحترمها بقدر ما تحبها

والصفات التي يجب ان تتحلى بها الزوجة كثيرة يضيق بنا المقام عن تعدادها فعلى طالب الزواج ان ينظر في المرأة الى ما يرتاح اليه عقله وضميره وقلبه هذا اذا كان من العقلاء اما الجاهل فليس له الا ان يسير حيث يقوده الجهل وسوء الطالع

كلمة في الوطنية

حب الوطن من الايمان

وحبب اوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

الناس رجلان رجل لا يسعى الا لنفسه ولا يهتم الا بشأنه كانه خلق فريداً وحيداً وخلقت الدنيا له ويطلق على هذا الخلق حب الذات او الانانية ورجل يسعى لغيره كما يسعى لنفسه ويطلق على هذا الخلق حب الغير او الغيرية وحب الوطن نوع من حب الذات

فالانسان من طبعه يحب مقر ولادته ومسقط رأسه حيث وُلد وحيث تربى وحيث نما جسماً وعقلاً وبحيث ان هذا الحب امر طبيعي في الانسان وجب على كل فرد من افراد المجتمع الانساني ان يستميت في خدمة وطنه ويتفانى في خدمة دولته فكل منا يحب وطنه وينظر اليه نظره الى جوهرة نفيسة ودرة يتيمة ليس لجماله الخارجي ومنظره البهي ولا لسمائه الزرقاء التي ترى بعض الاحيان متلألئة بالكواكب ومزدانة بالنجوم بل لانه وُلد وشب وترعرع وقضى قسماً عظيماً من حياته مع عياله واصحابه الذين تربوا قبله في ذلك البلد وحب الوطن يبين لنا جلياً من المثال الآتي:

ان الاسوجي مثلاً الذي وُلد في بلاد اسوج الواقعة شمال اوربا الى الشمال الغربي من روسيا يلذ له دجى بلاده ويفضله على النور الساطع في غير بلاد ولو نقل هذا من بلاده الباردة ذات العواصف الشديدة الى بلاد اخرى معتدلة الاقليم نقية الهواء والماء كايطاليا المشهورة بكثرة جناتها وحدائقها وبساتينها التي لا ترى فيها الا مياهاً تتفرع ولا تسمع الا اطياراً تسجع فانه لا يلبث هناك بضعة ايام الا و يشتاق الى مشاهدة وطنه العزيز وكلما طالت مدة اقامته في الغربة ازداد شوقه الى بلده وعظم حنينه الى وطنه فلا تعود تطيب له الاقامة ولا يعود يلذ له العيش الا في وطنه ولو كان قرية من القرى ومما يحسن ذكره هنا ان الاطباء يصفون للمرضى بعض الاحيان ان يرجعوا الى اوطانهم ليحصلوا على الشفاء العاجل فعند ما يرجع المريض الى وطنه يؤوب اليه نشاطه ولا يعود يشعر بالم ولا وجع فاذا كانت هذه الحالة حالتنا فلماذا لا نحب وطننا ولماذا لا نخدمه خدمة تذكر فتشكر مدى العصور . فمهما كان الانسان حاصلاً على راحة تامة وسعادة عظيمة في بلاد غريبة فانك تراه دائماً منقبض الصدر باسر الوجه يلهج في اليقظة في بلده ويحلم في نومه اهله وخلانه لان الحب الناشىء في قلبه يجذبه اليه واليهم . ومن يتأمل ويمعن النظر في حياة النبي موسى كليم الله يجد انه كان ساكناً في قصر الملك فرعون وما كان ينقصه شيء من اسباب رغد العيش وسعادة الحياة الا انه كان قلق الفكر من جهة ابناء جنسه العبرانيين الذين كانوا تحت نير العبودية في مصر فاتى اليهم وآثر العيشة مع هؤلاء الاذلاء العبيد على العيشة في قصر الملك مع الوزراء واكابر المملكة

ومن تأمل في النبات رآه ينمو بسرعة ويعطي اجود الثمار في اوقاتها مادام في وطنه اي في ارضه الاصلية فلو نقلت شجرة تفاح مثلاً من سوريا الى بلاد اخرى فانها لا تقيم في الارض بضعة ايام الا تيبس واذا لم تيبس فانها تنمو نمواً بطيئاً وتثمر اثماراً غير ناضجة ولا لذيذة والسبب في ذلك هو: اولاً ان الشجرة قد غرست في ارض ليست تربتها كالتربة التي اخذت منها وثانياً ان هواء الاقليم قد يتغير فمثل الانسان من هذه الحيثية مثل النبات

فمما ذكر آنفاً يبين لنا انه لا يقدر احد ان يحصل على السعادة وراحة الفكر الا في وطنه حيث يكون قد اعتاد منذ صغره معاشرة ومكالمة ابناء جنسه

فامتزج معهم امتزاج الماء بالراح فآكلهم وآكلوه وشار بهم وشاربوه

ان احد الفلاسفة يعلمنا ان نفضل المصلحة العمومية على المصلحة الخصوصية وان نحب وطننا من صميم فؤادنا ويعلمنا ايضاً ان تهذيب عقول ابناء الوطن وتمدنهم يؤولان الى منفعتنا وراحتنا في هذه الحياة لاننا عند ما نجد ان ابناء الوطن في راحة تامة وعيش رغيد وهم على جانب عظيم من التمدن تنشرح صدورنا وتبتهج نفوسنا واذا نبغ من بلدة ما رجل اكثر معرفة واغزر علماً من سكان تلك المدينة فانهم يفتخرون به وذلك الرجل عند ما يرى ان اهل مدينته يجلون مقامه ويحترمونه يسعى سعياً مشكوراً في اصلاح مدينتهم فينشئ المدارس ويشيد المعاهد العلميـة ولا يخفى ما في المدارس والمعاهد العلمية من الفائدة الجلي التي تعود على الوطن بالنجاح والفلاح فلا يذهب ردح من الزمن الا يصبح وطنه شامة على وجنة الدهر وغرَّة في مفرق العصر نسأل الله تعالى ان يلهمنا ما بـه رضى الله ونفع الوطن وخدمة الدولة انه السميع المجيب

ع . د

زينة المرأة والاقتصاد

لحضرة الفاضلة الآنسة منتهى مطر

لا يختلف اثنان ان المرأة اكثر ميلاً الى الزينة من الرجل . وهو امرٌ يسلم الرجل لها به وان قال علماء الطبيعة ان الزينة في الاصل للذكور وليس للاناث — يستدلون على ذلك بما يشاهدونه من اختصاص ذكور الحيوانات بالجمال دون الاناث . فالديك مثلاً اجمل منظراً وارخم صوتاً من الدجاجة والحصان اعدل قامة والطف شكلاً من الفرس ونحو ذلك مما لا اخوض فيه ولا انا في حاجة اليه . لان الرجل يعترف بحق التزين للمرأة بل هو يحرضها عليه بما يبديه من الاستحسان لاهل الزينة منهنَّ . والمراد بالزينة هنا (طبعاً) زينة الملابس والحلى ونحوهما مما تزدان به السيدات فيزدان بها بيتها وتنشرح صدور اهلها

والزينة دأب المرأة في كل العصور وعند سائر الامم . ولكنها كانت في العصور الخالية تجعل زينتها على قدر طاقتها . وكان لكل طبقة من الناس طرز من الملابس ودرجة من درجات الزينة . فكنت اذا رأيت المرأة علمت مقدار غناها او فقرهـا من النظر الى ملابسها . اما الآن فانك لا تكاد تجد فرقاً بين ملابس الاميرة وملابس الفقيرة ولا ترى كبير اختلاف بين زينتهما . وقد ترى الفقيرات اكثر رغبة في التبرج والبذخ من ذوات اليسار . فبعد ان كانت زينة المرأة سبباً لسعادة زوجها اصبحت علةً لتعاسته ومقدمةً لفقره وخصوصاً عند اوساط الناس والفقراء وعبثاً يحاول هولاء افهام نسائهم ان الاسراف ضربٌ من الجنون وان العاقل من ينفق على قدر طاقته ويمد رجليه على قدر بساطه

وقد حدا بي الى الكلام في هذا الموضوع حكاية وقعت لأولغا ملكة اليونان قصها عليَّ بعض الافاضل وهي جديرة بأن تنقش على صفحات القلوب قال : —

« اشتهرت أولغا ملكة اليونان بالرزانة والتعقل فلما آنست ما هو شائع بين شريفات مملكتها من البذخ في الملابس والمجوهرات حتى لا تكاد الواحدة منهنَّ تظهر امام اصحابها مرتين بالفسطان الواحد — احبت ان تنبههنَّ الى هذا الخطأ وما يترتب عليه من النفقات الباهظة التي لا يحتملها ازواجهنَّ ولا طائل تحتها . لكنها علمت ان النصح في هذا الموضوع يثقل على سماعهنَّ وقد يشق عليها هي مخاطبتهنَّ في ذلك اذ يعسر على كريم الخلق ان يذكر صاحبه بفقره او عجزه . فعمدت الى ارشادهنَّ بلسان القدوة ليفهمنَ قصدها بغير

خطاب . فاولمت وليمة دعت اليها اشراف المملكة وفيهم نساء الامراء والوزراء . ولبست هي في ليلة الوليمة ابسط ما عندها من اللباس واستقبلت ضيوفها وليس عليها شيءٌ من الحلي . فتواردت السيدات وعليهنَّ عقود اللؤلؤ واكاليل الالماس وخواتم الزمرد والفيروز والاساور المرصعة مما يليق بمقابلة الملوك في مثل تلك الحفلة فلما رأينَ ملكتهنَّ في ذلك الثوب البسيط تولتهنَّ الدهشة وغلب عليهنَّ الخجل فاخذنَ في الانسحاب رويداً رويداً قبل انقضاء الاحتفال وقد فهمنَ غرض الملكة من تلك الوليمة . وبعد بضعة ايام اولمت لهنَّ وليمة اخرى فجئنَ هذه المرة بابسط الملابس فلما قابلتهنَّ الملكة علمت انهنَّ فهمنَ قصدها واتعظنَ بها فانشرح صدرها وتاكدت ان القدوة اشد تأثيراً من التوبيخ واجزل فائدة من الوعظ »

هذه هي حكاية الملكة أولغا اردت ان يطلع عليها قارئات هلالكم المنير لما فيها من العبرة والموعظة . وهي تنبهنا الى ما نشاهده في سيدات بلادنا من الافراط في الزينة . والفقيرات منهنَّ يجارينَ الغنيات ولا يحسبنَ لحوادث الدهر وتقلبات الزمن حساباً

نرى السيدة التي يكتسب زوجها عشرة جنيهات في الشهر تجاري امرأة رجل راتبه ٥٠ او ١٠٠ جنيه ولا فرق بين ملابس الاثنين

لا مشاحة ان اتقان اللبس وترتيبه ونظافته من اهم واجبات المرأة ويجب عليها ان تحسن الذوق في انتقاء الاقمشة التي تناسب شكلها وقامتها من حيث اللون والطول والسمن . ولكن يجب عليها ايضاً ان لا تنسى احوال زوجها او والدها او من يعولها من حيث الغنى والفقر وان تبذل جهدها حتى لا تنفق غرشاً في غير محله . وان تراعي احوال الزمن وتسير على مقتضى الاحوال . واذا رأت والدها او زوجها ميالاً الى الاسراف اظهرت له رغبتها عن ذلك لئلا تكون سبباً في زيادة ضيقه . والعاقل من احترس من الدهر ونكباته خوفاً من مرض يدهمه او مصيبة تطرأ عليه او على فرد من عائلته — فيجمع من فضلات كسبه في ايام يسره ما ينفقه ساعة الحاجة عليه في ايام عسره . فما قولك في من ينفق فوق كسبه حتى تتراكم الديون عليه ؟ . فالمرأة او الفتاة التي تغفل عن هذه العواقب وتستغرق في حب الزينة ومجاراة اهل الموضة من الموسرات تكون سبباً في شقاء اهلها — ولا نظن عاقلة ترضى بذلك

ولا يخفى ان مقام السيدة لا يتوقف على غلاء اثوابها وكثرة مجوهراتها وانما هو يتوقف على خصالها وسمعتها وتدبير منزلها وعلاقاتها مع اهلها واصدقائها وجيرانها وليس جمال الثوب بغلاء ثمنه وانما هو بترتيبه ونظافته وحسن هندامه . فالزينة ضرورية للمرأة بل من اسباب سعادة بيتها ولكنها لا تتوقف على كثرة النفقة

ولا عذر لاوساط الناس والفقراء في ما قد يبدو على ملابس نسائهم من دلائل الاهمال والخمول فاذا بدا عليها شيء من ذلك انما يكون سببه اغفالهنَّ الترتيب والنظافة ومن لا يعتني بترتيب اثوابه ونظافتها يظهر الفقر عليها ولو كانت من الاطالس والقطيفة والذهب . ونعرف نساءً اذا لبسنَ الثوب الشيت حسبته من الحرير واخريات يلبسنَ الحرير فتحسبه شيتاً والفرق بينهما في الترتيب والنظافة فقط

ولا يؤخذ من مجمل كلامي ان القاعدة في الزينة ان لا تلبس المرأة غير الاثواب الرخيصة — لا بل انني احرض الغنية على لبس الاثواب الثمينة والا فانها ترتكب نقيصة البخل كما ترتكب الفقيرة المتمثلة بالاغنياء نقيصة الاسراف وانما نريد ان يسير كل امرء حسب اقتداره ولله درُّ القائل

بين تبذير وبخل رتبة
وكلا هذين ان زاد قتل

والرتبة الوسط هي الاقتصاد بمعناه الحقيقي لا كما يفهمه البعض ويعده من قبيل البخل فان الاقتصاد

شيء والبخل شيء آخر

على اننا لا نفرض على الغنية ان تنفق كل فضلات غناها على الزينة والتبرج بل يليق بها ان تخصص جانباً منه لعمل البر . لان الاحسان يزيد الحسان حسناً

واختم قولي بحكاية جرت لروتشيلد الغني الشهير يوم زار دمشق الشام فاجتمع اغنياؤها الاسرائيليون لاستقباله في قاعة كبيرة وقد تقلد نساؤهم اثمن مصاغهن وكانت امرأته بلباس السفر وليس عليها من الزينة شيء يستحق الذكر . وبعد تجاذب الحديث تقدم الرجال اليه واستحثوه على مساعدة فقراء الطائفة هناك فاجابهم قائلاً « خففوا مجوهرات نسائكم تقلّلوا فقراء طائفتكم » وكان قوله هذا فصل الخطاب «الهلال»

تقرير سنوي لغرف القرأة

لحضرة الاستاذ الفاضل سليم افندي كساب

سادتي وسيداتي

تقضي والحمد لله على هذه الغرف عامها الاول بين بواعث مشجعة ومثبطة ودواع سارة ومكدرة وثناء وانتقاد (وارتفاع وهبوط) شأن كل مشروع ادبي عمومي جديد في بلاد لم تألف بعد المعاهد العلمية والمراكز الادبية كل الالفة . لا سيما ولم تستكمل هذه الغرف معداتها بعد من كتب ومجلات ووسائل الراحة والهناء لقصور وسائطها المادية في الحال . فاذاً راعينا حداثة الغرف ونزر موادها وما ألمّ بها من مطاعن ذوي الاغراض راينا ان لها بواعث وافرة تحملها على اسداء الشكر لله وتوسم الخير والتقدم

فقد فتحت هذه الغرف كما تعلمون في ٨ اذار سنة ١٩٠٠ بهمة سيدات جمعية الاعتدال الفاضلات (ومساعيهن الجديرة بالثناء) واشتراك جمعية شمس البر واسعافها . فما كادت تفتح ابوابها لقبول الزائرين حتى اقبل اليها الجمهور يترددون بكثرة للمطالعة والدرس بشوق لا مزيد عليه . وكان الزائرون في الثلاثة الاشهر الاولى اوفر عدداً من الاشهر التي تليها وذلك كما قيل في المثل لكل جديد رونق . وما اوشكت ان تقطع الشوط الاول من مراحلها حتى سدد نحوها بعض من كانت ترجو منهم شد الازر والتشجيع سهام التنديد والتحامل ينسبون اليها اغراضاً ومآرب دنيئة ليست من غايتها . فامتنع بعض مشايعيهم عن التردد حرصاً على ارضائهم او تصديقاً لمزاعمهم . ولم يبال غيرهم بالتهويل والوعيد لانهم عرفوا بعد التحري والبحث بطلان تلك الترهات والمثالب . اما ادارتها فلم تعتسف عن السبيل القويم الذي اختطته لنفسها الا وهو ابداء الرعاية والمجاملة لجميع الزائرين من سائر الطوائف والترحب بالكل على حد سوا . لان المشروع وطني محض اي للوطنيين وان تكن بعض ادارته اجنبية ولا دخل به للمآرب الذاتية . فلم تبال بتفنيد المفندين لعلمها ان لا بد من كشف الواقع النقاب عن محيا الحقيقة فتنجلي الامور بالبينة الدامغة وترتد تلك النبال كليلة وتود لو لبثت في كنانتها كما جرى فعلاً بدليل توافد الزائرين بالمئات والالوف وانصبابهم على القرآت والمطالعات والاحاديث المفيدة فبلغ عددهم في الاثني عشر شهراً المنصرم اجلها نحواً من ثلثين الفاً على معدل ٦٠٠ شخص بالاسبوع او نحو ٨٠ الى ٩٠ في اليوم

اما الفوائد الادبية التي نشأت او يرجى ان تنشأ من هذا المشروع فهي كما يأتي اختصاراً :

(١) تربية الميل في الشبان للقرآت المفيدة والمطالعات وتشويقهم الى الوقوف على الانباء الجديدة وتوسيع مداركهم بمعارف العصر والاكتشافات والاختراعات الحديثة الخ .

(٢) الاطلاع على افضل المقالات والنصوص السياسية والعلمية والادبية المنوطة بالمصالح العامة .

فتتربى في الشاب موهبة الانشاء والتاليف وانسجام العبارة وعذوبتها لانه ينتقي من المجلات العديدة افضل المعاني والكلمات الدالة على ما في النفس دلالة تلذ مطالعتها وتعظم فوائدها

(٣) تتيسر بغرف كهذه الوسائل العلمية التي لا يتسنى لشاب واحد منفرد الظفر بها لا سيما اذا كانت وسائطه المالية لا تمكنه من الاشتراك بجرائد عديدة في لغات متنوعة او اقتناء مكتبة جامعة كما هي الحال بين اكثر شبان مدينتنا

(٤) خدمت هذه الغرف العموم وتخدمهم بتقديم مركز ادبي يلتئمون فيه للمذاكرات العلمية والادبية وائتلاف القلوب وتخفيض روح التعصب والانفراد وتربية الغيرة الوطنية وانماء عواطف المحبة والتقارب (والتمرين على الانتظام والسكون واحترام العلم واهله)

(٥) قدمت هذه الغرف مكاناً مركزياً ملائماً لاجتماع جمعية شمس البر في جلساتها القانونية . وهي كما لا يخفى جمعية ادبية علمية خيرية مؤلفة من كل الملل المسيحية غايتها خدمة الانجيل واسعاف القريب وبنيان النفس في العلم والآداب . تقضت عليها اعوام مديدة في الخدمة الوطنية قامت في خلالها باعمال نافعة لفائدة اعضائها ونفع عدد ليس بقليل من سائر الطوائف . وقد ازداد بحمد الله عدد اعضائها بعد افتتاح هذه الغرف وعقدت فيها عدة اجتماعات لفظت فيها خطب رنانة ودارت مباحثات ذات شان بمواضيع علمية وادبية جزيلة الفائدة وهي ترحب بكل شاب اديب يود الانتظام في سلكها

(٦) قامت هذه الغرف بخدمة كثيرين ممن كانوا يكثرون التردد الى الحانات واماكن اللهو والقهاوي حيث يقتلون الوقت وينفقون الدرهم على امور ضارة فنشأت فائدة مزدوجة منها الاقتصاد بالوقت الثمين والمال وربح المعرفة . وقد سمع بعض الشبان الزائرين يقولون « لا ريب في ان كلا منا اقتصد في هذه المدة على الاقل بثمنين غرش كان ينفقها على امور لاطائل تحتها بل على اشياء تؤذي الاجسام والاداب» وهذه هي الغاية الاولى من تأسيس هذه الغرف اي تقديم مشوقات وجواذب ادبية تقوم عند الشبان مقام الحانات واماكن الخلاعة تفيدهم ادبياً وعلمياً بدلاً من تلك الاشراك والفخاخ المنصوبة لاغتيالهم

(٧) ترحبت هذه الغرف بزائريها من سائر الملل على السواء بدون ادنى فرق او تحزب لطائفة دون اخرى وغايتها الكبرى تربية روح الالفة الوطنية والانضمام تحت الجامعة العثمانية ومقاومة داء التعصب الذي هو آفة كل تقدم وارتقاء

اما اكثر الزائرين في هذا العام فمن الطائفة الارثوذكسية التي تستوجب جزيل الشكر والثناء لتشجيعها هذا المشروع واستحسانها اياه والدفاع عنه خير دفاع في اعمدة مجلتها الغراء . على ان زائريها من سائر الطوائف ايضاً كانوا عدداً ليس بقليل . وكان سلوكهم جميعاً في الغرف الا فيما ندر مقترناً بالوقار والرزانة والسكون مقدرين هذا المشروع حق قدره وهم جديرون بالشكر الجزيل

اما معدل حضور الزائرين في اليوم الواحد فكما يأتي : نحو الربع يحضرون من الساعة التاسعة صباحاً الى العصر والربع الثاني من العصر الى الغروب والنصف من بعد الغروب الى الساعة العاشرة ليلاً . وفي ايام الآحاد والاعياد يكثر عدد الزائرين حتى يكاد يتضاعف

ومع ان قسماً كبيراً من الاهالي يذهبون الى مصايف لبنان في اشهر الصيف قلما ينقص عدد الآتين الى هذه الغرف لان التلاميذ والطلبة الذين يخرجون من المدارس يعوضون عن اولئك المصطافين بحضورهم وهذا مما يسر ويشجع لان هؤلاء الفتيان يعرفون قيمة الوقت ويؤثرون انفاقه بالمطالعات على قتله بالكسل

والملاهي الباطلة

ولا نقصد هذه الغرف كما اسلفنا الكلام للتعرض للخلافات المذهبية وليست كما يتهمونها منصوبة شركاً لايقاع السذج في حبائل الدين الانجيلي كما يزعمون بل تعرض مع الكتب العلمية والادبية كتباً دينية غير جدلية لسائر الطوائف والمذاهب فللمطالع ان يختار ما يروق له

اما نفقة هذه الغرف ودخلها فسيعرضان لدى حضراتكم ومنها ترون ان دخلها من المرطبات لا يكاد يقوم بعشر النفقة فاذا لم تفز باسعاف الافاضل الادباء الغيورين من اجانب وابناء وطن الذين يهتمون بمعاهد علمية خيرية كهذه يخشى لا سمح الله من حبوط هذا المشروع الوطني الجليل في حداثته . ولكن حاشا يلمّ به ذلك وحضراتكم في الوجود . وانا لعلى يقين بما نتوسمه في اريحيتكم ومكارم شيمكم انه سيتقدم الى الامام انشاء الله . ويرتقي مادة ورحابة وادارة

سادتي وسيداتي

لا بدع اذا توسم الشبان في تشريفكم هذا المنتدى دليل استحسانكم ورضاكم عن هذا المشروع فينتابونه . ولا ريب في ان القوم يعتدون بفضلائهم فتؤدون بزيارتكم هذه الغرف عند سنوح الفرص خدمة جليلة تشكركم لاجلها الجمعيات والبلدة والوطن

ويا سادتي تعلمون ان مدينة زاهرة كبيروت التي امتازت عن سائر مدن سوريا بل عن اكثر المدن العثمانية بمدارسها الكلية والابتدائية الداخلية والخارجية وبرجال العلم والكتبة والمؤلفين وبالجرائد والمجلات تفتقر كل الافتقار الى مكتبة عامة كهذه تودع فيها افيد الكتب وصحف الانباء والمجلات العمومية لمطالعة العموم تأسياً بسائر البلدان والامصار المتمدنة حيث تتوفر هذه المعاهد حتى في القرى الصغيرة فقد يوصي عالم فاضل بمكتبته الكاملة لمشروع كهذا . وقد يقف مثر كبير قسماً عظيماً من ماله على امثال هذه المآثر وقد تبلغ الوصية او الوقف مئات بل الوف الليرات بل عشرات الوفها وامثالها ويبلغ عدد الكتب الالوف المؤلفة . فقد سمعت حديثاً من بعض الافاضل في هذا المحفل ان سرياً اميريكياً البالغة ثروته سبعة او ثمانية ملايين من الريالات اوصى بجميعها لاعمال خيرية متنوعة كالمدارس والمستشفيات والمتصدقات والمكاتب فنال بعضها نصف مليون وغيرها مئتين الف او مئة الف او خمسين الفاً من الريالات او اقل او اكثر . وقس على ذلك كثيرين ممن عرفوا بهذا السخاء الحاتمي ممن نقرأ عنهم في الجرائد وقد خلدوا لهم بين مواطنيهم بل في العالم اجمع مآثر حسناء تذكر فتشكر بكل قلب ولسان فياليت العناية تتيح لهذه الغرف المسكينة انساناً من هؤلاء يهديها مبلغاً يقوم بقيمة نحو الفي كتاب توقف عليها وقفاً ابدياً وتكون اساساً تشاد عليه مكتبة مذكورة عامرة تليق بشان بلدة كبيروت بلغت في المعارف والمدارس درجة لا يستخف بها عالم العلم وياحبذا لو كان ذلك الواقف من ابناء الوطن الغيورين

نعم لم نبلغ شأو الاوربيين والاميريكيين في العلوم والثروة والوسائل المادية والادبية ولكن لا يطالب المرء الا بقدر ماله فاذا لم نبتدىء الان فمتى ولم يطلب السيد من صاحب الوزنة والوزنتين والخمس ربحاً الا بنسبة ما اودعهم . الم يحن الزمان بعد ؟ الم يخولنا المولى وزنة على الاقل ؟ فما بالنا لا نضع وان بعضها في مصارف خدمة العلم والاداب ؟ ونتآزر على الاخذ بناصر هذا المعهد باشتراكنا فيه وان بمبلغ زهيد (كدليل الرضى والاستحسان فانكم لعالمون ان البحر مؤلف من قطرات والاطواد الرواسخ من ذرات) او باهدائنا اياه ما نستطيع الاستغناء عنه من الكتب والمجلات او ايداعها فيه الى حين . فنؤدي لبلدتنا بل لانفسنا خدمة يذكرها الوطن والانسانية بمزيد الثناء

فلا حاجة ايها السادة والسيدات الى استنهاض

همتكم الشماء لانجاد هذا المشروع فان ما فطرتم عليه من مكارم الشيم ونصرة العلم والآداب يستفزكم الى امداد هذا المعهد بعطاياكم المالية والادبية فيتقدم الى الامام ويرحب وتتوفر فوائده بانظاركم الكريمة تحت ظل مولانا وولي نعمتنا ومتبوعنا وسلطاننا الاعظم الساهر على خير رعاياه وتقدمهم في معارج الفلاح والنجاح علماً وادباً وتمدناً ادام الله عرشه الجليل الانور محفوفاً بملائكة النصر والهناء والرغد

لسان العالم الفقير

يخاطب العلم

يا كوكباً بسماء الذهن سكناكا
تبارك الله ما ابهى محياكا
لم يدر تائه ليلٍ غره ذهبٌ
ان الهدى لفظة من بعض معناكا
فيم ماضيك ابقي ما يهذبنا
وسين مستقبل الدنيا سجاياكا
لم ينزل الدرّ عن اسعار جوهره
لو لم نجد بحر درّ في زواياكا
انت الهلال وشمس الافق في شرف
بعدت مجداً ولكن هنت ادراكا
سعداً لمثلي من من فيك مورده
ماء الرشاد سقاني عذب مجراكا
لايجتني الشهد من جدواك غير فتى
احيا لك السهد تحصيلاً لنعماكا
يا علم نورك يغني المرء عن علم
يهديه ان ضل نحو الله مولاكا
خدمتك العمر دون القوم في اودي
ودون تخليد ذكري بين احياكا
ولا يذل علاي الفقر يا كبدي
فالورد يحمل منه الجزع اشواكا
ذلّ الحياة بفقري لست انكره
لكنما اتعزى عند مرآكا
وفيك يطمعني تاكيد ما سمعت
اذني بان رغيد العيش عقباكا
وان حقرت فاني صابر ابداً
حتى يعزز ربي شأن ابناكا
تباً لدهر به اصبحت محتقراً
يا علم وامتهنت اسياد دنياكا
والله ما هطلت عين السحاب دماً
الا لتبكيك يا بدراً فقدناكا
وما النهار اكتست بالليل هامته
الا حداداً على آساد موتاكا
والشمس ما غربت الا لتستر ما
من اصفرار دهاها عند ذكراكا
ذو المال عاد وبالاموال مقتنع
ما ضرّه لو حوى خلخال عذراكا
يحب حسنك اذ لم يخف مطلعه
والبخل يمنعه عن وصل حسناكا
يا ذا البخيل قضيت العمر منهمكاً
بالعد والصر لم تحسب لاخراكا
عن الفقير املت الوجه في غضب
ومعظم المال محشود بمغناكا
عليه دستٌ يوم جاء ملتمساً
منك الطعام لان البخل اعماكا
ناداك يا ابن ابي رفقاً بمحترق
ما الذنب حتى تدوس الرأس رجلاكا
سمعت لكن دخان البخل مرتفع
للوجه منك فضلت عنه عيناكا
دموعك انهملت من قبح ما فعلت
رجلاك واشتعلت نيران احشاكا
رمت السخاء فسلّ البخل صارمه

وقال حفظ الغنى او قطع يمنا كا
غادرته بظلام الفقر مرتمياً
اواه يا حجراً ما كان اقسا كا
والله ما اسودَّ لون الليل عن عبث
يوماً سوى من دياجي شر مبدا كا
وما السما رعدت الا لتعلمنا
ان الاله غضوب من مزايا كا
ويلاك يا جامع الاموال ويلا كا
انساك ربك حب المال انسا كا
اني اراك بجمع المال مجتهداً
فهل جمعت له وقتاً بدنيا كا
اين الاوائل والاجداد من سلفوا
بل اين اسكندر بل اين كسرا كا
قدغادروا المال طرّاً والثرى التحفوا
لم تغن كثرته عن حكم مولا كا
تلك النقود التي في دارك التأمت
كانت قديماً الى آباء آبا كا
وارثهم وليت منهم شخصت
اذكان بالبخل والاحسان ضاها كا
قامت على قبره ترثيه هاتفةً
اواه ياجاهلاً ما كان اشقا كا
احرزتني ومنعت الكل من نعمي
والآن خلفتني ورداً لاعدا كا
بالله اين يدٌ كانت تجمعني
بل اين بخلك هل بالحتف ساوا كا
لم لم يقم وبقاتل سادةً قتلوا
جسمي النحيف واحيوا العن ذكرا كا
ان كنت تعلم ان البين يفصلنا
لم لم تجد فيَّ للمسكين يمنا كا
حتى يعود اله العرش مرتضياً
بعد الممات ومسروراً بملقا كا
.....

فيا بخيل تأمل في دراهمه
كذا سترثيك يوماً فوق مثوا كا
فكر به واتعظ في سوء حالته
واحب الفقير وكفر عن خطايا كا
فالمال مالك ان يبذل لمنفعة
والمال مالك ان يحرز لابنا كا

فيليب جرجي
بدران

اخطار=تنذر صاحبي امتياز رسالتي المحبة والمنار المنشرين في بيروت بان يعملا بمقتضى القواعد المقررة ومن خالف ذلك تجري عليه المعاملة اللازمة في ١١ ذي القعدة سنة ٣١٨ و١٧ شباط سنة ٣١٦

والي بيروت
رشيد

رواية

الفتى العصامي

١

السماء صاحية والغزلة ضاحية والهواء عليل والنسيم بليل والشتاء قد ولّى برث اطماره وغزير امطاره والربيع قد وافى يحي وجوه مستقبليه الباسمة بنسمات اسحاره ونفحات ازهاره وفرش الارض بساط عشب اخضر نمقه بالاقحوان والشقيق وقرن خضرة الزمرد بحمرة العقيق ترحاباً واحتفاء بقدوم الانشراح ملك الارواح مع شقيقته المسماة بالنزهة التي هي للعيون قرة وللافئدة مسرة

فلنمتط جناح الافكار ونتبع ركابهما لنبلغ حيثما اماهما قد ترجلا في دوحة فياه خمائلها

زاهرة ورياضها ناضرة عند مدينة قد قامت في وسط ربوع الشام كالعروس في حجلتها يخال الناظر ابنيتها الفسيحة المشادة بالحجر الناري فوق مهلها المشهور بالخصب ياقوتة زرقاء فوق زمردة خضراء والسهل قد رفع صدره افتخاراً بها فكانها فوق ذاك الارتفاع خال في خد او شامة في نهد وخلعت عليها الطبيعة منطقة من البساتين والرياض تمنطقها على شكل نصف دائرة هي غاية في البهاء والجمال الطبيعي

وعلى بعد ساعات منها جبل لبنان يرسل اليها من فوق قممه المكللة بالثلج صيفاً وشتاء نسماته النقية كانها تحيات محب مغرم قد استغضه حبها وصبا الى قربها فارسل من حضيضه نهر العاصي رسولاً يستعطفها ويسترضيها فاصاب الرسول ما اصاب المرسل فاطاعها وهو الشهير بالعصيان وارسل مياهه تسقي تربتها الخصبة فهي دموع محب تسيل على اقدام مالكة فياده وسالبة رشاده وهذا انين نواعيره ناطق بلاعج غرامه وشديد هيامه . على ضفة نهر العاصي في احد بساتين المدينة الآنف وصفها كان فتى غض الاهاب نضر الشباب قد خط الجمال على صفحة خده الجلناري سبحانك يا باري

تربع على بساط العشب الاخضر وقد سلب لبه جمال الطبيعة وطاب له طول تامل محاسنها فارسل طرفه يرود تلك المروج الناضرة والبقاع الزاهرة وحرك اصابع يمناه على اوتار عوده وجعل يرقص ادواح تلك الرياض وخمائلها

بشدو مطرب من خير شاد
يرق لشدوه صلد الجماد
اذا غنى على الاوتار صوتاً
فمن امراه حبات الفؤاد

وقبل ان نبسط لدى القارىء العزيز سيرة هذا الفتى المسمى خليلاً يجب علينا ان نصفي مداد الدواة مما لحق به من المكروهات ونغسل اليراع بماء التوقير ونمسحه بمنشفة الاعتبار لانه سيخط على صفحات القرطاس حياة هي مثال الشهامة والاجتهاد والامانة فنقول :

خليل فاضل فطن اديب
له في كل مكرمة نصيب

ولد في مدينة حمص من عائلة اشتهرت بالشرف دون الغنى فاستقبله الدهر بوجه باسر وكلفه في سبيل تمهيد المستقبل شق المرائر وما صبا ودرج حتى انشبت المنية اظفارها بوالده بعد والدته وغادرته لطيماً يتهدده المستقبل بالعسر وسوء الحال والمآل فتولى تربيته خال له ابخل من مادر سقاه بيد العسف كاس الاذلال والامتهان ولو كان خليل كبعض الناس لشب على الفساد وزاده سوء معاملة خاله له فساداً على فساد ولكن طيب العنصر الذي ورثه عن والديه والدم النقي الذي اتصل منهما اليه نهض به نهضة الاسد وعلمه بالمصائب والشقاء الصبر والاجتهاد وكل من صبر ظفر ومن جد وجد

وهكذا مافتئ خليل ناظر الخبرة حتى رأى طريق حياته مفروشة بالشوك والعليق والحياة تنفخ في بوق الحاجة تدعوه للجهاد في وادي الكون الوعر فصبر على جور خاله صبر الكريم حتى عيل صبره وكادت روحه تبلغ التراقي ففر من يد عسفه فرار الآبق قبل ان يشب عن الطوق وقطع على قدميه الصغيرتين المسافة بين حمص وطرابلس الفيحاء وفيها رق له رجل فاضل فارسله الى احدى مدارس بيروت العالية ليتلقن العلوم والمعارف على نفقته فانصب خليل على الدرس اي انصباب حتى فاق اقرانه وفاز برضا اساتذته ومحبة رفاقه وبعد درس ٤ اعوام نال الشهادة المدرسية باللغات العربية والتركية والافرنسية ثم عاد الى ولي نعمته وكاشف غمته فعينه مساعداً له في تجارته ومديراً بيته ووعده ان يزف اليه وحيدته امها ذات الجمال الفتان فظن ان الدهر قد صافاه بعد ان اطال

جفاه ولكن ظنه لم يحقق لان اسما اعتبرته غريباً حقير الشان غير مستحق محبتها فاعرضت عنه واساءت معاملته فشق ذلك على نفسه الكبيرة غير انه تذكر فضل الدها عليه فصبر على امر من الصبر واحر من الجمر واستعطفها فزادته اعراضاً ونفاراً فعاملها بمثلها وقال لها ان كنت ريحاً فقد لاقيت اعصاراً فشكته لوالدها واوغرت صدره عليه فاظهر له الكره فترك خدمته غير آسف عليها بعد ان خدمه بامانة ٣ سنوات وبضعة اشهر لم يقبل ان يأخذ في خلالها اجرة وفاء لما دفعه عنه الى رئيس المدرسة التي تعلم فيها حتى لا يكون مديوناً له بدرهم وما ترك خدمته حتى دعاه تاجر من اكابر التجار لمساعدته براتب وافر فلباه

ولما رات اسما ان العصفور قد طار من يدها ولم يكترث بامرها ندمت ندامة لا تجدي نفعاً بعد ما آل اليه الامر فكتبت اليه تستعطفه وتسترضيه اولاً وثانيا فلم يعرها اذناً صاغية

ولم يمض اسبوع على اقامة خليل في محل التاجر الثاني حتى اساء معاملته كانه الشقاء ذيل له يجره كيفما سار ومع انه اشترط عليه ان لا ياتي في محله غير الكتابة عملاً طلب منه ان يشحن البضائع في البواخر ويخلص من دائرة المكس البضاعة التي ترده من اوربة فصبر خليل على مجامر غير كريم ولكن التاجر لم يقف عند هذا الحد بل اخذ يطلب منه تحضير الطعام وغسل الصحون واصلاح النارجيلة الى غير ذلك من الامور الدنيئة التي يتطلبها بعض التجار ولا اقول كلهم من كتبة محلاتهم ظناً منهم ان كتبة المحلات التجارية خدمة او مماليك واشتد الخلاف بين التاجر وخليل حتى آل الامر الى تركه الخدمة عند رجل لا يقدر النفوس الكبيرة حق قدرها ولا يرعى للادباء مقاماً

وما ترك خليل الخدمة حتى شاع وذاع وملأ الاسماع انه سيء الخلق والتدبير لا يحسن عملاً ولا يرضي احداً ولا يعرف غير الخيلاء والعناد سبيلاً الى غير ذلك من الاشاعات التي روجها عنه ذلك التاجر القاسي القلب جرياً امام سائق الحقد وسعياً وراء حادي الانتقام منه بقطع رزقه مع ان قطع الاعناق خير من قطع الارزاق

فضاقت بخليل الفيحاء وصعب عليه سقوط مقامه مع خلاء جيبه وزاد مركزه حرجاً ان اسما اغتنمت هذه الفرصة لتثأر منه فصورته لرفيقاتها شيطاناً رجيماً وهذه اخبرت اباها وتيك اخاها وتلك زوجها وبنيها فاصبح مكروهاً من الجنسين مرموقاً بالاحتقار من كل عين وكل في خدمته حطيه

ولكن لا يعدم الحق عضداً كما لا يعدم الباطل انصاراً فقد كان لخليل من ادباء الفيحاء اصدقاء خلصاء كانوا يدافعون عن حقوقه دفاع الابطال ويذودون عن مكانته قدر المستطاع ولكنهم كانوا نفراً من جم وقطراً من يم فاجتمعوا اليه يوماً واشاروا عليه ان يقصد ارض وادي النيل ارض الخيرات والمسرات فقبل مشورتهم وشكر حبهم واخلاصهم واستقرض من احدهم ما يلزمه من النقود الى ان يأتيه الله بالفرج

ومع اول باخرة وجدها على اهبة السفر الى الديار المصرية سار عن دار سحق فيها كآنية من فخار بعصا من حديد بعد ان ودع رفاقه ملتاعاً وكرر شكرهم والثناء على اخلاصهم وما سارت به الباخرة حتى شعر بالدوار فصرف اليوم الاول بين قيام وقعود وركوع وسجود وفي اليوم الثاني صحا رأسه فتذكر ما عاناه في حياته من الاتعاب والكرب من جور خاله وعناء الدرس وسوء معاملة اسما ووالدها له وامتهان التاجر له واعتدائه عليه وسقوط كرامته فاغرورقت بالدموع عيناه واراد ان يسلي نفسه قليلاً بقرض الشعر فاخذ من جيبه قلماً ودفتراً صغيراً وجلس بمكان ينبسط امامه البحر المتوسط كانه مغتاظ لغيظه ولذلك كان

يرغي ويزبد ويقوم ويقعد وما افتكر قليلاً حتى لبته القريحة فكتب :

شكوى ووداع

بغت الايام والدهر غدر
وزماني قد بلاني بالعبر
فوهى عزمي واضناني الكدر
وفؤادي بلظى الهم استعر
ودموعي قد جرت مثل المطر
يا غريب الدار يا لهفي عليك
درر الآمال ضاعت من يديك
يا زمان السوء ما ذنبي لديك
اي دعوى رفعت عني اليك
فبذلي حكمك القاسي صدر
عشت عمري بنشاط واجتهاد
ناهجاً نهج المعالي والرشاد
اكره الخبث وانصار الفساد
يشهد الله بصدقي والعباد
عن معين الحق قلبي ما صدر
كذب الحساد فيما لفقوا
وبذمي سفهاً لم يصدقوا
قد عراهم من ثباتي حنق
وعلى جمر اصطباري احترقوا
فاتاني منهم بعض الشرر
غير نفعي لبلادي لم ارد
وعلى غير العلى لم اعتمد
ببلادي قط خيراً لم اجد
مع اني عشت عيش المجتهد
فلذا عنها لقد طاب السفر
مصر يا ناق فجدي وخدي
ومقر الخديوي السامي اقصدي
فعسى الق بمصر مقصدي
وبعون الله اخزي حسدي
بنوالي كل قصد ووطر
يا صحابي ودعوني ودعوا
انما التوديع خطب موجع
آه ما بال عيوني تدمع
اترونى بعد هذا ارجع
وعلى رأسي اكاليل الظفر
اذكروني يا صحابي كلما
بلبل الدوح بغصن رنما
لست انساكم وربي اينما
كنت صحبي منجداً او متهما
لكم روحي فداء والبصر
ارض فوق الريح نفسي ودعي
وربوع الشام حالاً امرعي
قد دنا وقت النوى لا تجزعي
وبمرآها غداً لا تطمعي
سيسير الركب من قبل السحر
بعد هذا اليوم صحبي هل ارى
بصفا عيش رغيد يا ترى
قلبي المحزون ربي صبراً
قد دنا الترحال والركب سرى
كل شيء بقضاء وقدر

٣

حييت يا وادي النيل وادي الخصب والخير وادي الهناء والمسرات فكم فرجت بربوعك غمم وكم زالت عن قاصديك نقم فقد كنت يا ارض الفراعنة ولم تزل ولن تزال مضيافاً كريماً تستقبل ضيوفك الغرباء بوجه طلق وثغر باسم وتمد لهم يدك للسلام مملوءة رزقاً عميماً وخيراً كثيراً تربتك تقريهم من طيب هوائك وعذوبة مائك وخصب وكرم ابنائك فيعود عليلهم صحيحاً وفقيرهم غنياً ومهضومهم

مجبور الخاطر طيب النفس قرير الناظر وكلهم ناطقون بشكرك معجبون بخيراتك هاتفون الى الله ان يديم عمرانك ويزيدك كل يوم فوق خيرك خيراً وفوق تقدمك تقدماً حتى تصبح لجسم الامصار هام كما انت الآن في وجنة الاقطار شامة بظل ظليل الهلال العثماني الابدي الخفوق على أعلام النصر والظفر

ما بلغت الباخرة الاسكندرية ونزل خليل الى البر حتى قشعت عن فؤاده دياجير الكرب وشعر بلذة الراحة بعد طول عهده بالنصب والوصب وباقل من اسبوع صار له اصدقاء خلص على ولائه متفقون وعن مساعدته لا يتأخرون وبمساعدتهم استخدم بضعة اشهر في احدى المحلات التجارية ثم فتح محلاً رأس ماله الصدق والامانة فربح بشهر ما لم يكن يتأمله في اعوام وافاض الله عليه سجال خيره ونعمه واشتهر لدى الجميع باللطف والصدق والغيرة فطارت شهرته في انحاء القطر وتعطر اسمه بالثناء عليه فلم يمض ٤ اعوام حتى صار واسع الثروة عريض الجاه فتذكر اوطانه وخلانه وحن الى مسقط راسه ومنبت اثلته وعزم على العود الى الوطن

وتوفق خليل لايجاد شريك يبقى في المخزن في مصر لبيع البضائع السورية من اطالس واقمشة قطنية وحريرية وتأهب للسفر الى حمص ليجعلها مركزاً له يقدم منها البضائع اللازمة لشريكه في مصر

ولما تمت اهبته وانهى اشغاله ركب جناح البخار ولو اعاره النسيم جناحه لطار وفي الباخرة تعرف بعائلة حمصية الديار انت وادي النيل من امد قريب فتمكنت عرى المحبة بين هذه العائلة وخليل نظراً للجامعة الوطنية التي تظهر باجلى حللها البهية في ديار الغربة

وهذه العائلة مؤلفة من والدين فاضلين قضيا عصر الشبيبة بالمحبة والوئام وخلعت عليهما الكهولة حلل الوقار والكمال فهما مثال صالح للعائلات بهما يقتدى وبعيشتهما الراضية الى الهناء العائلي يهتدى قد من الله عليهما بفتاة بارعة الجمال شريفة الخصال ربياها احسن تربية وارضعاها لبان التهذيب والادب فنمت وزهت كانها وردة عند الصباح بدت في شهر نيسان تبدي قدرة الصمد

ولما بلغت العاشرة ارسلاها الى مصر لتتثقف في مدارسها العالية ووكلا امر الاعتناء بها الى عم لها مستوطن في الديار المصرية مشهور بالشهامة والفضل بين نزلاء ارض الفراعنة من السوريين

ومن ٣ اشهر اتى والديها تحرير من عمها يبشرهما بانهائها دروسها ونيلها الشهادة المدرسية مشفوعة بشهادة الامتياز على رفيقاتها فاتيا ليريا ثمرة حياتهما وتعزية شيخوختهما وبعد ان صرفا مدة في مصر ودعا عم الفتاة بعد شكر فضله واعتنائه واصطحبا ابنتهما وقصدا الوطن العزيز

سمع خليل حديث سلمى في بادىء الامر فشعر من نفسه باعجاب به وارتياح اليه ولما اطبق الغسق ومضى هزيع من الليل ذهب الى مضجعه واغمض عينيه فرآها مصورة امامه فحاول ان يذهبها من ذاكرته وينام فلم يستطع الى ذاك سبيلا فاوقد شمعة واخذ يتلو كتاباً كان مشغوفاً بمطالعته فراى رسمها يتمشى بين السطور وتلا ٤ صفحات وهو كانه لم يقرأ ولم يقدر ان يفهم حرفاً واحداً مما قرأه فاطبق الكتاب واطفأ الشمعة وحاول النوم ثانية فلم يطعه فنهض ولبس ثوباً سميكاً وخرج الى ظهر الباخرة وجعل يتخطر شمالاً ويميناً ولم يشعر الا وسلمى واقفة امامه على غير قصد وقد اصابها ما اصابه وخرجت الى ظهر الباخرة لتشرد عن فكرها حديث خليل ورسمه فلم تشعر الا وقد صارت امامه فدنا منها ووضع يده بيدها وضغط عليها ضغطاً لطيفاً له في كتب الغرام متون وشروح لا يعرفها الا من كابد الشوق وعانى الصبابة

البقية تأتي

شاكر نعمة الله سلوم

حمص

المطبعة العلمية ليوسف صادر

فضل الله فارس ابي حلقه